Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 7:1 (1972)

الحياة الاجتماعية
عند نجم الدين الرازى
(٢)

— للدكتور عبد الرحمن شاه ولى

أسباب انهزام المسلمين من التتار

ان لتقدم الامم و عروجها ، و لتأخرها و فناءها أسبابا و عللا ثابتة ، راسخة رسوخ سنة الله فى الكون " و لن تجد لسنة الله تبديلا " . و قد نبه القرآن المسلمين فى كثير من آياته بما فيه تقدمهم و عزهم و عظمتهم و قوتهم ، كما حذرهم عما فيه ذلهم و زوالهم و فشلهم و ابادتهم ، فقال : (و اعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا)، (و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم) (و لقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون) الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلوة و آتوا الزكوة و أمروا بالمعروف ، و نهوا عن المنكر) (و اذا اردنا أن نهلك قرية ، أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) . و تحت هذه السنة الالهية حاول كثير من مفكرى الاسلام بما فيهم نجم الرازى تعليل انهزام المسلمين من التتار و القاء الرعب فى قلوبهم رغم أن التتار لم يكونوا اكثر منهم عددا و عدة ، و يتلخص جميع ما قال مفكرو الاسلام فى هذا الصدد ، الى سببين : اختلاف ملوك المسلمين فيما بينهم ، و انشغالهم بالمجون و الشهوات ، و انهماكهم فى الغفلة التى هى نتيجة اشباع الشهوات ،

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

و الاعتناء بالحسيات ، يقول ابن كثير (و انما استقام لهم (التتار) هذا الامر لعدم المانع لان السلطان خوارزم شاه محمد كان قد قتل الملوك من سائر الممالك ، و استقر فى الامور فلما انهزم منهم فى العام الماضى و ضعف عنهم و ساقوا وراءه ، فهرب ، فلا يدرى اين ذهب ، و هلك فى بعض جزائر البحر ، خلت البلاد و لم يبق من يحميها ليقضى الله أمرا كان مفعولا [٢٨] ،

هكذا يشير الى أن سبب الهزيمة من التتار ، كان خلو البلاد عمن ينوب عن خوارزم شاه فى القيام بمهام الدفاع عن البلاد ، حيث أنه قتل كل من كان يستأهل لهذا الامر . أما ابن الاثير فانه يتفق مع نجم الرازى — فيحمل مسئولية الهزيمة على انشغال الملوك بالحسيات و الشهوات . يقول : (و لقد جرى لهؤلاء التتر ما لم يسمع بمثله من قديم الزمان و حديثه . طائفة تخرج من حدود الصين لاتنقضى عليهم سنة حتى يصل بعضهم الى حدود بلاد أرمينية من هذه الناحية و يجاوزون العراق من ناحية همدان) و يرى أنه لا يشك فى أن الذين يأتون بعده قد يرون حوادث التتار مسطورة فينكرونها و الحق بيدهم لاستبعاد مثلها الا أن عليهم أن يلاحظوا جميع ما كتب المؤرخون فى هذا الصدد ليتحققوا من صدقها لاتفاق المعنيين بالتاريخ فيها . و قد استوى فى معرفتها العالم و الجاهل لشهرتها . ثم يدعو الله بالكلمات التالية : (يسر الله للمسلمين و الاسلام من يحفظهم ، و يحوطهم فلقد دفعوا من العدو الى أمر عظيم ، و من الملوك المسلمين الى من لا تتعدى همته بطنه ، و فرجه و قد عدم سلطان المسلمين خوارزم شاه) [٢٩] و خوارزم شاه ايضالم يحسن التصرف اذ قام بقتل تجار التتار و أخذ أموالهم ، و قد لامه على ذلك مؤرخو الاسلام كما مر بنا من قول ابن كثير فى هذا

---

٢٨) البداية والنهاية ص ٨٨ ج ١٣ .

٢٩) نفس المصدر ص ٨٩ ج ١٢ .

الصدد ، الا أنه قد يعذر، لاحتمال كونهم عيونا و جواسيس للتتار، دخلوا بلاد الاسلام فى زى التجار . أما انشغال الملوك فى ذلك العصر بالمجون ، فلذلك نظائر كثيرة ، و من ذلك أن التتار لما تيمموا بلاد أذر بيجان فصالحهم ملكها ازبك بن بهلوان على مال حمله اليهم لشغله بما هو فيه من السكر ، و ارتكابه السيئات و الانهماك على الشهوات فتركوه و ساروا الى موقان [٣٠] و من ذلك ايضا : أن المعظم عيسى غضب سنة ٦١٦ هـ على القاضى زكى الدين بن زكى ، و سببه أن عمته ست الشام بنت أيوب مرضت فى دارها التى جعلتها بعدها مدرسة ، فارسلت الى القاضى لتوصى اليه فذهب اليها بشهود معه ، فكتب الوصية كما قالت ، فقال المعظم يذهب الى عمتى بدون اذنى و يسمع هو و الشهود كلامها ؟ فأهان هذا القاضى لاجل ذلك بأن البسه ما يهينه ثم يحكم فيه بين الناس ، و كان شرف بن عنين الزرعى الشاعر قد أظهر النسك ، و التعبد ، و يقال أنه اعتكف فى الجامع ايضا ، فأرسل اليه المعظم بخمر و نرد ليشتغل بهما . فكتب اليه ابن عنين :

يا أيها الملك المعظم سنة احدثتها تبقى على الاباد

تجرى الملوك على طريقك بعدها خلع القضاة و تحفة الزهاد

و قد علق ابن كثير على ذلك بقوله (و هذا من أقبح ما يكون ايضا [٣١]) و رغم كل هذا و ذاك فان من أهم اسباب انتصار التتار على المسلمين هو قوة بداوتهم ، و عز عصبيتهم ، حيث أن العالم الاسلامى تنعم حينذاك بالترف و الوان من المعيشة الرقيقة التى قد تؤدى الى الانحلال الخلقى ، و هذا من أسباب خور الامم ، وضعف الهمم ، و انعدام الجرأة و الشجاعة ،

---

٣٠) البداية و والنهاية ص ٨٤ ج ١٣ .

٣١) نفس المصدر ص ٨٤ .

و اسحاء لوامح المميزات البارزة ، التى تتسم بها الامم الفاضلة ، و من هنا لا يبالغ أمير الشعراء شوقى اذ يقول :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

و مما يدل على قوة بداوتهم الى درجة السذاجة ، أن قائدهم و والد ملوكهم جنكيز خان كانت أمه تزعم بأنها حملت به من شعاع الشمس لذلك كان غير معروف النسب [٣٢] و قد كان فى بداية حياته خصيصا عند الملك ازبك خان و من مقربيه حتى حسده عظماء الملك فوشوا به اليه حتى طرده ازبك خان فخرج عليه ، فنفراليه كثير من أصحاب ازبك خان حتى قويت شوكته و كثرت جنوده ، و قد كان يحارب طول السنة غير ثلاثة اشهر كان يصطاد فيها [٣٣] و كان واضع سياستهم و هى قانون وضعى كانوا يتحاكمون اليه ، و كان قاسيا الى أبعد الحدود حيث كان القتل جزاء معظم الجرائم ، فكان القتل جزاء الزنا ، و اللواطة و الكذب ، و السحر ، و التجسس ، و البول فى الماء الراكد ، و اطعام الاسير دون اذن أهله [٣٤] .

ورغم أنهم ملكوا اكثر المعمور من الارض ، و أطيبه و أحسنه عمارة ، و اكثره أهلا و اعدلهم اخلاقا و سيرة فى نحو سنة ، و لم يتفق لاحد من أهل البلاد التى لم يطرقوها بقاء الا و هو خائف مترقب وصولهم ، فانهم كانوا يسجدون للشمس ، اذا طلعت ، و لا يحرمون شيئا ، و يأكلون ماوجدوه من الحيوانات و الميتات [٣٥] . و قد كان لهذه البداوة و التوحش ، و القوة ،

---

٣٢) البداية و النهاية ص ١١٧ ج ١٣ .

٣٣) نفس المصدر ص ١١٨ .

٣٤) نفس المصدر ص ١١٨ .

٣٥) البداية و النهاية ج ١٣ ص ٨٨

أثر فى نفوس الذين كانوا عرضة لهجماتهم او يصل اليهم خبرهم ، و نستطيع أن نعرف مدى الرعب الذى القى فى قلوب أهل البلاد التى قاموا بغزوها ، من الروايه التاليه لابن الاثير حيث يقول : (حكى لى عنهم يكاد سامعها يكذبها من الخوف الذى القاه الله سبحانه و تعالى فى قلوب الناس منهم حتى قيل أن الرجل الواحد منهم كان يدخل القريه ، او الدرب ، و به جمع كثير من الناس ، فلا يزال يقتلهم واحدا بعد واحد ، لا يتجاسر أحد بمد يده الى ذلك الفارس ، و لقد بلغنى أن انسانا منهم أخذ رجلا ، و لم يكن مع التترى ما يقتله به ، فقال له ضع رأسك على الارض و لا تبرح فوضع رأسه على الارض و مضى التترى احضر سيفا فقتله به . و حكى لى رجل قال كنت أنا و معى سبعه عشر رجلا فى طريق فجاءنا فارس من التتر و قال لنا حتى يكتف بعضنا بعضا فشرع أصحابى يفعلون ما أمرهم فقلت لهم هذا واحد فلم لا نقتله و نهرب ؟ فقالوا نخاف ، فقلت هذا يريد قتلكم الساعه ، فنحن نقتله فلعل الله يخلصنا ، فو الله ما جسر احد يفعل ذلك ، فاخذت سكينا و قتلته ، و هربنا فنجونا ، و أمثال هذا كثيرة)[٣٦] هذه كانت حاله العالم الاسلامى آنذاك و ما أشبه اليوم بالامس . فاننا نرى نظائر تلك الحوادث او ما يقاربها فى العالم الاسلامى فى عصرنا الراهن .

و على أى فان التتار كانوا متوحشين و عاشوا بعيدين عن الحضارة فى همجيتهم الى أن فتح هولاكوخان حفيد جنكيزخان ، بغداد فخربها و أشعل النار فيها ، و تمكن من ازاله الدوله العباسيه ، الا أن الحضارة العباسيه الاسلاميه ابهرت انظار هذا البدائى حتى أنه قرر العمل على الاخذ بيد

---

٣٦) تاريخ الكامل للعلامة ابى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى الملقب بعز الدين ص ٢٠٧ ج ١٢ .

القائمين عليها . فاتخذ من الرياضى العبقرى و الفلكى الذائع الصيت وزيرا لماليته ، و لكنه كان شديد الحرص على مواصله أبحاثه العلميه الى جانب وظيفته ، لذلك فهو فى حاجه الى مرصد فكان هذا الاقتراح الى جانب المطالبه باعتماد المبلغ اللازم لاقامته مدعاة لاثارة الشك و الريب فى قلب هذا البدائى المتوحش ، لانه ما كان يجول بخاطره ، أن علم الفلك هذا يتطلب اقامه مرصد ، و أن المرصد يكلفه هذا المبلغ من المال فأجابه ناصر الدين : أن فائدة هذا المشروع سيتبينها هولاكو من هذا المثال البسيط الذى سيقدمه له. فطلب منه أن يسمح له بصناعه حوض كبير من النحاس فيضعه فوق سطح القصر ، و حينما اجتمع اعيان الدوله مساء حول هولاكوخان ، أسرناصرالدين بدحرجه هذا الحوض ، فاحدث صوتا مخيفا اوقع الرعب فى قلوب الحاضرين عدا ناصر الدين و هولاكوخان ، و كاد الاخرون يموتون رعبا و فزعا . فقال ناصر الدين لهولاكو : تأمل ان الذى يعلم الاشياء لا يخشى وقوعها ، و هذا من فوائد علم الفلك فالذى يفهم هذا العلم لا يخشى ما قد يقع لانه يعرف الاسباب فاذا وقعت واقعه يقبلها العالم هادئ النفس ، لانه عالم بها و لا يجهلها ، فاقتنع بكلام ناصر الدين و سارع الى اجابه طلبه فرصد له الاموال الطائله لبناء المرصد و تأثيثه . فلما تم المرصد فرح به هولاكو فرحا عظيما ، فاهداه مبلغا كبيرا من المال و زود المرصد بمكتبه تحتوى على اربعمائه الف مجلد ، جمعها من مكتبات بغداد و سوريا و العراق ، كما استدعى عددا كبيرا من علماء أسبانيا و دمشق و تفليس و الموصل ، و المراغه ليعلموا تحت اشراف ناصر الدين ، و يضعوا الزيج الفلكيه الجديدة بتكليف من الخان [٣٧] .

---

٣٧) انظر فضل العرب على اوربا ص ١٠٠ - ١٠١ تاليف زيجريد هونكه الالمانية ، ترجمة الدكتور فواد حسنين على . ط. دار المعارف بمصر.

فقد تبين لنا مما سبق أن التتار عاشوا بدائيين فى سذاجتهم و همجيتهم مدة طويلة ، الا أن الحضارة الاسلامية ادركتهم فبدأت من اول الوهلة فى اذابة بداوتهم و تحجرهم و نتيجة لذلك ذابت شخصيتهم فانصهرت فى بوتقة الاسلام ، و اندمجت فى العالم الاسلامى الكبير ، و تحولت نيرانهم الى براعيم الربيع لتكون زينة لربوع العالم الاسلامى و صار مهاجم الأمس مدافع اليوم و شريك الغد و فعلت الحضارة الاسلامية ما عجزت عن تحقيقه السيوف الصارمة .

اتضح لنا بجلاء و وضوح أن ابن الاثير و غيره من مؤرخى الاسلام يتفقون مع نجم الدين الرازى فى تعليل انتصار التتار و هزيمة المسلمين منهم ، و فى تقدير الفتنة التتارية ، و بما أن هذه الفتنة كانت فى نظر نجم الدين الرازى نتيجة غفلة المسلمين و عصيانهم عن دين الله لذلك كان يدعو الله بالكلمات التالية : (اللهم نبهنا من نومة الغافلين ربنا لاتؤاخذنا بسوء اعمالنا ، و لا تسلط علينا من لا يرحمنا . ربنا و لاتحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا و اغفرلنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) [٣٨] .

شخصيته العلمية

كان الشيخ نجم الدين الرازى ذا ثقافة متنوعة و صاحب أفكار و آراء متينة يتجلى ذلك بوضوح من مؤلفاته و آرائه فى مجال المعارف المتعددة ، و العلوم المختلفة ، و رغم اصطباغ آرائه بالصبغة الاخلاقية ، و الصوفية الاسلامية ، فانه قد تأثر الى حد ما بالفلسفة اليونانية و خاصة بآراء أفلاطون .

---

٣٨) مرصاد العباد ص ١٢ .

و الافلوطينيه الحديثه حسبما كان ذلك من مبتدعات عصره ، و مقتضيات ألوان ثقافته ، غير أنه حاول جاهدا أن يأتى بسند من القرآن أو الاحاديث النبويه لكل فكرة من افكاره ، و ان كان ذلك بجر النصوص الى مالا تحتمل تأويله او بالاستدلال بما لا أصل له من الاحاديث و ذلك الى جانب معارضته و استنكاره الشديد على تأويلات الفلاسفه ، و مواقفهم تجاه تعاليم النبوة و فيمايلى نضرب لذلك بعض الأمثله من آرائه :

يرى نجم الرازى : أن المقصود من خلق الانسان هو معرفه ذات الله و صفاته ، و يستدل على ذلك بأن سيدنا داؤد عليه السلام سأل الله سبحانه و تعالى قائلا : رب لماذا خلقت الخلق. قال : كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف [٣٩] و قد مر بنا أن غايه خلق الانس و الجن هى العبادة التى هى عبارة عن المعرفه الحقه حسبما تبين لنا من تأويل ابن سينا و نجم الرازى لقوله تعالى : ” و ما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون “ غير أن استدلال نجم الرازى بالقول السابق الذى نسبه الى سيدنا داود ، انما هو تأثر بالافلوطينيه الجديدة من حيث لا يدرى ، و ليس هذا القول حديثا او قول نبى من الانبياء ، بل انه قول أفلوطونى. [٤٠] و يرى نجم الرازى أن الجن و الانس يشتركون فى التعبد و التكليف بالعبادة غير ان الانسان يمتاز بحمل اعباء أمانه المعرفه التى قال الله عنها: ” إنا عرضنا الأمانه على السموات و الارض و الجبال فأبين أن يحملنها ، و اشفقن منها و حملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا “ [٤١] ان التفسير الظاهر لهذه الايه هو ان الله عرض أمانه التكليف

---

٣٩) لاحظ مرصاد العباد ص ٢ - ٣ .

٤٠) راجع نشأه التفكير الفلسفى للدكتور على سامى النشار ص ١٦٣ ج ١ .

٤١) سورة الاحزاب.

على هذه المخلوقات المذكورة فأبين بلسان الحال حملها ، و حملها الانسان الظلوم الجهول الذى لا اعتدال فى قوته العمليه و العلميه. لأن الظلم و الجهل يقابلان العدل و العلم ، و هما عبارة عن الاعتدال فى القوة العمليه ، و العلميه ، و يراد فهما فى مصطلح القرآن العمل الصالح و الايمان ، و لذلك عالج بهما القرآن الظلم و الجهل قال تعالى : " و العصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنو و عملوا الصالحات الخ ". و ليست الخسارة المذكورة فى الايه غير الظلم العملى و الجهل العلمى ، و علاجهما هو الايمان ، و العمل الصالح. أما نجم الرازى فانه يرى : أن المراد بالسموات فى الايه المذكورة هو أهلها من الملائكه ، و كذلك المراد من الارض هو أهلها من الحيوانات و الجن و الشياطين ، و من الجبال ايضا اهلها من الطيور و الوحوش ، و كل هؤلاء لا يستأهلون حمل أمانه المعرفه غير الانسان حيث كانت نفسه من بين جميع المخلوقات ، مرآة جلال الله و جماله ، و مظهر جميع صفاته و الى ذلك أشير فى قوله عليه الصلوة و السلام ، خلق الله آدم على صورته [٤٢] و يرى : أن خلاصه نفس الانسان القلب ، و هو بمنزله المرآة و العالم غلافها و حجابها ، و تظهر بواسطتها جميع صفات الجلال و الجمال لذلك قال تعالى : سنريهم آياتنا فى الافاق و فى أنفسهم [٤٣]. و بعد تزكيه النفس الانسانيه و وصولها الكمال ، تشاهد فى ذاتها جميع الصفات فتعرف غايه خلقها التى هى معرفه صفات الله ، و هناك تتحقق حقيقه : " من عرف نفسه فقد عرف ربه " [٤٤]. و هكذا يجر النصوص بالتاويل لاستنباط المعانى الصوفيه منها .

---

٤٢) رواه الشيخان.

٤٣) سورة حم فصلت.

٤٤) لاحظ مرصاد العباد ص ٢ - ٣ قال ابن تيمية عن هذا الحديث أنه موضوع، و قال النووى ليس بثابت و قال ابن الفرس أن كتب الصوفية مشحونة به، يسوقونه مساق الحديث كالشيخ محى الدين ابن العربى، كشف الخفاء و مزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس : للشيخ اسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى المتوفى سنه ١١٦٢ هـ ص ٢٦٢.

و يرى نجم الرازى أن مسكن النفوس الانسانيه كان العالم العلوى ثم هبطت الى هذا العالم و يستدل على ذلك بقوله تعالى : '' لقد خلقنا الانسان فى فى أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين '' اى الى القالب الانسانى [٤٥].

و يرى أن الانسان كان يسمى بهذا الاسم حينما كان له الانس بالله عزو جل، و لما نسى ذلك بعد هبوطه الى الارض فقد سمى بالناس ، لذلك قال تعالى : '' يا أيها الناس '' يعنى الذى نسى الانس بربه ، و من ذلك امر الله نبيه الكريم بقوله : '' و ذكرهم بأيام الله '' [٤٦] يعنى ذكرهم بالايام التى كانوا فيها فى جوار قربه ليتحرك فيهم الحب و شوق الرجوع الى ذلك الوطن الأصلى ، فيقصدونه ، و من ذلك قال تعالى : '' لعلهم يتذكرون ، لعلهم يرجعون '' [٤٧] فاذا اشتاقوا الى وطنهم الاصلى ، و أحبوا الرجوع اليه فذلك عين الايمان ، و من ذلك قال عليه الصلوة و السلام : '' حب الوطن من الايمان '' و علامه الكفرهى ترك قصد الرجوع اليه و الاطمئنان فى هذه الدنيا ، لذلك قال تعالى : '' و لكنه أخلد الى الأرض و اتبع هواه فمثله كمثل الكلب '' [٤٨]. و الذى آثر البقاء فى هذا الحجاب و لم يحاول جاهدا اختراقه و ازالته فانه خاسر أبدى ، و من هنا قال تعالى : '' و العصر ان الانسان لفى خسر '' أى أن جميع نوع البشر فى الخسران باستثناء الذين حرروا أرواحهم بواسطه الايمان و العمل الصالح ، لتصل الى مقرها الأصلى ، و وطنها الاول.

و يرى نجم الرازى أن روح الانسان يشبه البذرة التى ان زرعت فى الأرض

---

٤٥) نفس المصدر ص ٢١ .

٤٦) سورة ابراهيم .

٤٧) الأعراف، و يوسف .

٤٨) الاعراف .

و عنيت بتربيتها ، فانها ستثمر و تزداد من حبة" واحدة الى سبعمائة" حبة" ، أما ان زرعت ثم اهملت تربيتها ، فمن خواص الارض أنها ستبليها و تفسد استعداد نموها و هكذا حال الروح الانسانى قبل الاتصال بالجسم ، فانه قبل هبوطه و اتصاله بالقالب كان مستعدا لسماع كلام الله عزوجل و لذلك رد على قوله : ألست بربكم؟ " بأن قال : " بلى" و قد هبط بأمر الله و اتصل بالجسم ليزداد مثل البذرة من واحد الى سبعمائة" و لكنه اذا ما عنى بتربيته بالايمان و العمل الصالح ، فسوف يبطل استعداده فيخسر قوة السمع و البصر و التكلم و سيبلى فى الجسم و أرض البشرية" مثل البذرة المهملة" فى الارض.[٤٩]

و يرى نجم الرازى : أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بأربعة" آلاف سنة". و بعد اتصالها بالجسم نسيت الى حدما أيام أنسها بربها ، الا أنها لا تفقد نهائيا ذوق فيض الحق ، و ذلك رغم ابتلائها بصفة" الأمارة.

و لست حديث العهد شوقا و لوعة" حديث هواكم فى حشاى قديم
وما دست حيا"ست أنسى وداد كـــم و فى اللحد ميتا و العظام رسيم.[٥٠]

اتضح لنا بجلاء و وضوح أن نجم الرازى يتفق مع أفلاطون و الافلوطينية" الجديدة فى تجرد النفس و هبوطها من العالم العلوى و فى تشبيه النفس بالمرآة و تزكيتها بالصقل و ازالة" الصدأ و فى أنها محصورة فى الجسم ، و هو يتأثر فى ذلك الى حدما بأفلاطون و الافلوطينية" الجديدة ، غير أنه يختلف مع أفلاطون و الافلوطينية" الجديدة فى اثبات ذلك من نصوص الشرع ، لاعن طريق العقل ، و يعارض الفلاسفة" فى قدم النفس ، و فى أن نزولها كان نتيجة" ارتكاب الخطأ

---

٤٩) لاحظ مرصاد العباد ص ٥٩ - ٦٠ .

٥٠) لاحظ مرصاد العباد ص ٢٠٢ .

أو سقوط ريشها ، حيث يرى أفلاطون و الافلوطينيه الجديدة أن النفس محصورة فى البدن ، و هو بالنسبه لها كالسجن و المغار . و هذا هو رأى أنبادقلس أيضا ، الا أنه يعتبر البدن الصدأ لها .

و لذلك يعتبر هؤلاء جميعا خروج النفس بمثابه اطلاق سراحها من الوثاق ، و يعلل أفلاطون انحدار النفس الى هذا العالم المادى بسقوط ريشها ، فاذا أعيد اليها ريشها ارتقت الى عالمها الأول ، و يعلل ذلك بارتكابها الخطأ فهبطت الى هذا العالم المادى لتعاقب و تجازى على خطاياها ٥١ و مثل هذا رأى : افسقرس أيضا ٥٢ فقد توضح لنا مما سبق أن نجم الرازى يعارض هؤلاء فى سبب نزولها الى هذا العالم المادى ، حيث يرى أن نزولها لكمالها ، لا لخطئها ، او سقوط ريشها ، كما يرى ذلك أفلاطون و الافلوطينيه الجديدة " و كذلك يعارض أفلوطين فى أن النفس كانت فى المكان العالى الشريف منذ الازل و نتيجه لخطئها فارقت ذلك العالم ٥٣ " لان نجم الرازى يرى حدوث العالم بما فيه النفس .

كيف وجد العالم ؟

يرد نجم الرازى على هذا السؤال ، بأن روح سيدنا محمد مبدأ الارواح الانسانيه ، و سائر المخلوقات . و من هنا قال عليه الصلوة و السلام : " أول ما خلق الله نورى " و فى روايه : " أول ما خلق الله روحى " و بما

---

٥١) لاحظ اثو ليجيا ص ٢٤ تخريج الدكتور عبدالرحمن بدوى .

٥٢) لاحظ رسائل الكندى ج ١ ص ١٧٦ تخريج الدكتور محمد عبد الهادى أبى ريدة .

٥٣) لاحظ : آثو ليجيا ص ١٨ .

أنه عليه الصلوة و السلام ، خلاصة الموجودات ، و ثمرة شجرة المخلوقات لذلك خاطبه ربه بما جاء فى الحديث القدسى :

" لولاك لما خلقت الافلاك " [٥٤] و من هنا كان مبدأ الموجودات لانه ثمرة شجرة المخلوقات ، و الشجرة تكون من بذرة ثمرها .

فلما اراد الله خلق العالم خلق النور المحمدى من أشعة النور الاحدية حيث قال عليه الصلوة و السلام : أنا من الله و المؤمنون منى " ان سلمنا صحة هذا الحديث ، فانه لا يدل على ما يدعيه نجم الرازى ، لانه عليه السلام اذا كان مبدأ العالم كله فما معنى تخصيص المؤمنين منه ؟

و يذكر نجم الرازى أن فى بعض الروايات : أن الله نظر الى النور المحمدى بنظرة الحب فاستولى عليه الحياء و من ذلك ظهرت عليه قطرات العرق فخلق الله منها ارواح الانبياء ، و منها ارواح المؤمنين ، و منها ارواح العاصين المذنبين ، و منها ارواح الكافرين و المنافقين ، و بعد أن خلق الارواح الانسانية خلق الارواح الملكية ، و منها خلق أرواح الجن و منها خلق أرواح الشياطين ، و بعد ذلك خلق أرواح الحيوانات المتنوعة [٥٥] لانجد أصلا لهذا الحديث كما أن ما يذكر فيه من قطرات العرق ، يعارض تجرد النفس الذى يعتقد به نجم الرازى أيضا ثم إن مضمونه يشبه الفكرة الافلوطينية الجديدة فى هذا الصدد حيث يرى أفلوطين : أن فى الوجود أربعة أقانيم : الواحد ، ثم الثلاثة الصادرة

---

٥٤) قال الصاغانى أن هذا الحديث موضوع ، و يرى اسماعيل بن محمد العجلونى، أن معناه صحيح و ان لم يكن حديثا ، لاحظ : كشف الخفاء و مزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس، ص ١٦٤ .

٥٥) لاحظ مرصاد العباد ص ٢١ .

عنه ، و هى العقل ، فالنفس الكليه ، فالمادة . و يرى أن الاوّل جوهر بسيط ، يحدث فيضه العقل ، و منه يحدث النفس الكليه ، و عنها تصدر نفوس الكواكب ، و نفوس البشر ، و نفوس المادة . أما المادة فانها فى آخر مراتب الوجود ٥٦ و كما أن قول نجم الرازى فى هذا الصدد يشبه الفكرة الافلوطينيه ، فانه يشبه أيضا بفكرة العقول العشرة عند الفارابى . و الأحاديث التى وردت فى هذا الموضوع أكثرها من وضع الواضعين الذين عبروا عن الأفكار الافلوطينيه الجديدة على لسان النبى صلى الله عليه و سلم و قد تأثر بها كثير من الفلاسفه و بعض الصوفيه من حيث لا يدرى و أورث ذلك اضطرابا لدى البعض ، و من هنا قام البعض بمحاوله التوفيق بين الروايات المختلفه ، و حاول البعض تمييز الروايات الصحيحه من الموضوعه و الضعيفه . فقد حاول نجم الرازى التوفيق بين الروايات الثلاثه الاتيه بطريق خيالى ، لايستبعد أن يكون مستوحى '' من فكر افلوطين ، حيث يقول ما معناه : أن ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم '' اول ما خلق الله القلم . و أول ما خلق الله العقل . و أول ما خلق الله روحى '' فان هذه الاحاديث الثلاثه كلها صادقه غير متعارضه ، و ذلك لان المراد من القلم المذكور فى الحديث هو القلم المناسب بعظمه الله و جلاله ، و هو روح سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ، فحينما نظر الله اليه بالحب ، انشق ـ من غلبه الحياء عليه ـ الى جزئين و هما : الروح و العقل . فهذه الثلاثه فى الواقع شئ واحد ، فالقلم و شقاه بيد الرحمن ، و به كتب جميع ما فى الملك و الملكوت ، و جعله المقسم به فى قوله : ن و القلم و ما يسطرون ٥٧ . و كأن نجم الرازى يحاول فى هذا التوفيق بين الروايات ،

---

٥٦) فى الفلسفة الاسلامية للدكتور سيد نعيم ، و الدكتور عوض الله حجازى.

٥٧) لاحظ مرصاد العباد ص ٣٠.

تطبيق فكرة الاقانيم الاربعة عند الافلوطينية الجديدة التى أوردناها سابقا .

و حديث : اول ما خلق الله العقل ، يذكره كثير من فلاسفة الاسلام حسبمايلى : " أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ثم قال له : و عزتى و جلالى ما خلقت خلقا أكرم على منك ، بك آخذ ، و بك أعطى ، و بك أثيب ، و بك أعاقب " هذا الحديث اعتبر قدسيا ، بينما كان غنوصيون اسلاميون هم الذين انطقوا النبى صلى الله عليه و سلم بلسان أفلوطين ، غير أن علماء الحديث و فى مقدمتهم تقى الدين بن تيمية ، هاجموه هجوما عنيفا و أثبتوا وضعه ، وصلته بالفلسفة اليونانية ٥٨ . والحديث الاخر فى هذا الصدد الذى رواه نجم الرازى ايضا ٥٩ كنت نبيا و آدم بين الطين و الماء " هو الاخر حديث أفلوطينى ، ٦٠ و فى حديث جابر رضى الله عنه : أن الله خلق قبل كل شئ نور محمد صلى الله عليه و سلم فلما أراد خلق الخلق ، قسم ذلك النور الى أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الاول القلم ، و من الجزء الثانى اللوح ، و من الثالث العرش ، ثم قسم الجزء الرابع الى أربعة اجزاء ، فخلق منها حسب الترتيب : حملة العرش ، ثم حملة الكرسى ، ثم باقى الملائكة ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق منها حسب الترتيب : السموات ، و الارضين ، و الجنة ، و النار . ثم قسم الرابع أربعة أجزاء . فخلق منها نور أبصار المؤمنين ، و نور قلوبهم و نور أنسهم ٦١ و هكذا تسربت

---

٥٨) انظر نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام للدكتور على سامى النشار ج ١ ص ١٦٣ .

٥٩) لاحظ مرصاد العباد ص ٧٩ .

٦٠) نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ص ١٦٤ ج ١ .

٦١) راجع المواهب اللدنيه للقسطلانى ج ١ ص ٩ .

النظريات الافلوطينيه" الى المعارف الاسلاميه" ، و كان اثرها غير مرض فى البيئه" الاسلاميه" ، كما أن نتاجها تعارض روح الاسلام ، لاننا إن سلمنا : أن مبدأ الخلق نور سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ، و هو بدوره من أشعه" نور الاحديه" ـ كما يرى ذلك نجم الدين ـ فان ذلك سيؤدى بلاريب الى الاعتقاد بقدم العالم ، و وحدة الوجود .

و إذ بان لنا تأثر نجم الرازى بالفلسفه" و بآراء الافلوطينيه" الجديدة ، فاننا نعلم الى جانب ذلك أنه يتمتع بافكار أصيله" و مفيدة فى السياسه" و الاخلاق و التجارة ، و غير ذلك مما سنحاول توضيحها فيما بعد .

و من هذا كله نستطيع أن نقول : أن شخصيته متأرجحه" بين كفتى أصاله" الفكر ، و التقليد و التأثر .